

فتح المسلمين اسبانيا

سبب الفتح:

فى سنة ٨٨ للهجرة^(١) عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى إلى موسى ابن نصير بولاية بلاد المغرب (أفريقية الشمالية) فنزل القيروان وحارب طوائف البربر وأخضع قبائلهم فى زمن وجيز وعلم أهلها الدين والقرآن وأخذ رهائن من قبائل مصمودة وصنهاجه وكتامة وهوارة وحاصر طنجة وفتحها واستعصت عليه قلعة سبته فنجت من جيشه وكان حاكمها وقتئذ يوليان JULEAN من قبل ملك اسبانيا غيطشه WITIZA وكان من أسرته.

وعاد موسى من غزواته إلى القيروان وبلاد المغرب خاضعة لسلطانه، أهلها يدفعون الجزية أو دخلوا فى دين الله ومن هؤلاء أهل طنجة فإنهم اسلموا وبلغت حاميتها ١٩ ألف فارس من المسلمين تحت قيادة طارق بن زياد البربرى.

فى هذا الحين كانت مملكة اسبانيا ضعيفة الشوكة مزعزعة الأركان لقيام الثورات وانقسام الأهلين إلى احزاب وتباينهم فى الأغراض وعدم ملائمة قانونهم المتخذ من قانون الرومان وعادات الجرمان وفرض القسوس على الرعايا ضرائب فادحة أثقلت كواهلهم لذلك خلعوا ملكهم غيطشه وقتلوه وانتخبوا آخر يسمى رذريق RODRIC ملكا عليهم وليس من بيت الملك بل من قوادهم وكان أولاد الملك المقتول وشيعتهم يترقبون الفرص للإيقاع برذريق واسترداد المملكة إليهم وزاد الطنبور نغمة أن دس رذريق عرض يوليان^(٢) ونشأ عن ذلك أن أذعن حاكم سبته لطاعة موسى وحرّضه^(٣) على فتح اسبانيا ووعدته المساعدة وكشف له الغطاء

(١) كذا فى ابن حبان وفى ابن الأثير سنة ٨٩.

(٢) انظر نفح الطيب صحيفة ١١٩ من طبع بولاق.

(٣) قال المؤرخ رومى (يرى أن فريقاً من نصارى اسبانيا كانوا يحقدون على الملك رذريق فجهّأوا وحرّضوا موسى على فتح بلادهم وظهروا له سهولة الاستيلاء عليها وأن يساعده على =

عن سياستها الداخلية وأفهمه أن الاسبانيين ناقمون على رذريق لأنه اغتصب المملكة من ملكها الشرعى غيطشه وأن أولاد الملك المقتول يودون لو ينصرهم عليه وكاشفوه بهذا الأمر سرا فاستأذن موسى الخليفة فى غزو الاندلس فأذن له. غزوة طريف:

فى رمضان سنة ٩١ للهجرة (٧١٠ للميلاد) أرسل موسى بن نصير طريف بن مالك البربرى فى مائة فارس وأربعمائة راجل لغزو بلاد الشاطئ الجنوبى من الاندلس فجازوا البحر فى السفائن وغزوا بعض الثغور الجنوبية بمعونة يوليان وباسم القائد سميت مدينة طريف التى هى فرضة على المجاز ثم عادوا بغنيمة جليلة^(١).

هذه الغزوة كانت مقدمة للفتح يجس بها موسى نبض الاندلس.

= ذلك بما فى استطاعتهم فأمر الأمر فى نفسه زمنا واستخبر سرا عن حالة اسبانيا وأهلها وغنى البلاد ونظام حكومتها وقوة ملكها والخصومات والمداوات القائمة بين أحزابها وأن يوليان حاكم سبته هو الذى نقل إليه جميع ما يحتاج إلى معرفته بالضبط وكشف له حالة الشعوب الاسبانية واختلال حكومة الملك رذريق وظلمها وكراهة الرعايا إياه وإنهم يعدونه غاصبا المملكة من القوط وأن هذا الفريق أولاد غيطشة ومن على شاكلتهم).

(١) فى نفح الطيب صحيفة ١٢٠ (كتب موسى بن نصير إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذى دعاه إليه يوليان من أمر الاندلس ويستأذنه فى اقتحامها فكتب إليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تفرر بالمسلمين فى بحر شديد الاحوال فراجع أنه ليس يبحر زخار وإنما هو خليج يبين منه للتاظر ما خلفه فكتب إليه وإن كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواله من البرابرة اسمه طريف فى أربعمائة رجل معهم مائة فارس سار بهم فى أربعة مراكز فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التى هى اليوم معبر سفائنهم ودار صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التأم إليه أصحابه ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيا لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا ومالاً جسيما وأمتعة وذلك فى شهر رمضان ٩١ للهجرة).

فتح طارق بن زياد اسبانيا^(١)

فى سنة ٩٢ للهجرة (ابريل سنة ٧١١ للميلاد) جهّز موسى نحو ١٢ ألفا تحت امرة طارق بن زياد لفتح الاندلس فتوجهوا ومعهم يوليان وعبروا مجاز هرقول^(٢) فى السفائن ونزلوا جبلا يسمى اليوم جبل طارق وفتحوا حصن قرطاجنة وكان فى سفح هذا الجبل ثم إنهم انسأبوا فى أرض الاندلس وكان العامل عليها يقال له «تدمير» فأرسل يخبر الملك^(٣) رذريق ويستنجده فجاء هذا بجيش يبلغ على ما

(١) قال رومى المؤرخ «إن طارقا كان عاملا على طنجة من قبل موسى فلما انتخبه قائدا أقام مقامه ابنه مروان بن موسى وكان الجيش مؤلفا من ١٢ ألف بربرى من حامية طنجة وبعض مئات من العرب أبحروا فى السفائن ومروا من طنجة إلى سبتة ومن هذه إلى الشاطئ المقابل ويظهر أن يوليان كان يرشدهم فنزلوا جزيرة صغيرة ظهر لهم من بعد أنها كلها خضراء فسموها الجزيرة الخضراء واستولوا على جبل مجاور لها وتحصنوا فيه فسمى أولا جبل الفتح ثم أخذ اسم الفاتح فسمى جبل طارق.

(٢) يقال إن طارقا بعد أن عبرت جنوده المجاز أحرق السفائن كى يقطع من عساكره أمل التقهقر وأن يختاروا إما الفوز وإما الموت.

(٣) قال رومى المؤرخ إنه كتب إليه ما تعريبه:

«مولاي حل بأرضنا قوم لا ندرى أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض هاجمونى فقاومتهم بكل قواى لأدفع غائلتهم ولكن اضطررت إلى التقهقر لكثرة عددهم وبسالتهم فأرجوك يا مولاي أن تجيء بنفسك مسرعا ومعك ما فى وسعك حشده من الجنود».

هذا الخطاب أوقع الرعب فى قلب الملك فجمع وزراء وقواده... ووجه نخبة فرسانه لينضموا إلى جيش تدمير وسار الجمع نحو جيش طارق فوقع بين الجيشين مناوشات كان فيها الخذلان دائما للقوط.

وفى غضون ما كان يجمع رذريق جنوده من مقاطعاته ويعد للمسلمين ما استطاع من قوة وينادى القوط والرومان ليتحدوا ويدافعوا عن حوزة بلادهم كان جيش طارق يكر بين الجزيرة الخضراء وسدونة وشواطئ نهر يانه ناشرا لواء الفزع والرعب فى أفئدة الأهلىين المأخوذىين من هجوم ما كانوا يتوقعونه فجاء رذريق بجيش جرار لكنه قليل الدرية على الطعن والنزال واجتمع الجيشان على شواطئ وادى لكة Guadaléte بالقرب من مدينة سدونة القديمة التى بنى على اطلالها مدينة شريش المشهورة الآن عند الأورويين بكرومها.

يروى ١٠٠ ألف جندي واجتمع الجيشان على شواطئ (وادي لكة^(١) Guadaléte) بالقرب من مدينة سدونة القديمة التي بنى في محلها الآن مدينة شريش فلما رأى طارق كثرة العدد كتب إلى موسى يستنجده فأرسل إليه خمسة آلاف فارس من البربر.

اصطف المسلمون والكثير منهم يمتطي متون الخيل عليهم الزرد وفوق رؤوسهم العمام البيضاء ويأيدهم القسيّ العزبية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح والاتحاد ملء أفئدتهم والحماسة تغلى في صدورهم وكلهم اخلاص لقائدهم الأكبر طارق يرمون إلى غرض واحد إما الفوز وإما الموت. والقووط بين مشاة وفرسان معتدون بالدروع والدرق والحرايب والفضوس والمناجل والمقاليع قلوبهم شتى.

وقبل اشتباك الفريقين خطب طارق يحرض جنده فقال: «أيها الناس، أين المفر، البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وذر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن أن سمحتم لأنفسكم بالموت وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملنكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس، أبدا بنفسى، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألد طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيها بأوفى من حظى وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات

(١) ويقال أيضا نهر لكة كما فى ابن الأثير ووادي لظه.

فى الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظهم منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم رذريق فقاتله، إن شاء الله تعالى، فاحملوا معى فإن هلك بعدة فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وإن هلك قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمنى هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون»^(١).

فلما سمعوا كلام طارق ثارت حميتهم ووطدوا نفوسهم على الموت فى قتال عدوهم.

وكان جيش طارق يظهر أنه كثير العدد إذ قسمه إلى طوائف ليلقى الرعب فى قلوب أهل الاندلس وانضم إليه يهود اسبانيا والنصارى الذين هم من حزب يوليان ثم التحم الجيشان ووقعت معركة هائلة استمرت ثلاثة أيام^(٢) ودارت فيها الدائرة على جيش رذريق فتفرق شذر مذر^(٣).

(١) نفع الطيب ج ١ ص ١١٣ و ١١٤.

(٢) من تاريخ رومى Romey (ص ٣٩ ج ٣) أن القتال استمر يومين بدون أن يرجع أحد الجيشين على الآخر وفى اليوم الثالث ضعفت عزائم العرب وأرادوا النكوص إلا أن طارقا بادر إلى الصفوف وصاح فى جنوده قائلا: «أين المفر البحر وراءكم والعدو أمامكم فلا مخلص لكم إلا شجاعتكم اتبعونى سأهجم على ملكهم واقتله أو يقتلنى» ثملقى بنفسه وألقوا بأنفسهم معه فى جيش القوط فاختلف نظامه وفشلت جنوده وعرف طارق رذريق بشاراته الملوكية فهجم عليه بين حراسه وطمعته برمحه فى صدره فخر صريعا.

(٣) قال المؤرخ رومى (ص ٤١ ج ٣) «ما كانت شجاعة العرب قاضية وحدها بفوزهم فإنهم فى =

جاء في ابن الأثير «وكان على ميمنة رذريق وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا: إن المسلمين إذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا إلى بلادهم وبقي الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق في النهر» ويروى أن طارقاً قتله - ثم إن طارقاً اقتفى أثر المنهزمين نحو نهريانه واخضع عدة بلاد في زمن قريب.

لما جاء موسى خبر هذا النصر المبين أخذته الغيرة وخشى أن ينسب فتح اسبانيا إلى طارق وحده فجَهَّز جيشاً قوياً إلى اسبانيا وكتب إلى طارق أن يقف فلما جاء هذا كتاب موسى حدثته نفسه أن بطيع أمر والى أفريقية لكن رأى الموقف حرجاً وأن في الطاعة مضاعفة الخطر عليه حيث خشى أن يترك للمنهزمين زمناً تتجمع فيه جموعهم وتتحد كلمتهم ويعيدون الكرة على المسلمين فجمع رؤساء الجيش وبلغهم كتاب الوالى فأجمعوا رأيهم أن الوقوف في المقام الذي هم فيه غير مناسب وأنه يجب انتهاز الفرصة في إبانها وعدم ضياع الزمن النفيس واقتفاء أثر المنهزمين.

أخذ طارق بمشورتهم واستمر في نصراته حتى فتح مدينة استجة^(١) ECIA بعد مقاومة شديدة ثم قسم جيشه إلى ثلاث فرق الأولى تحت امرة مغيث الرومي ووجهها إلى قرطبة، والثانية يرأسها زيد بن قاصد السكسكى وسيرها إلى مالقه

= اليوم الثالث اثنتا عن عزمهم وحدثهم أنفسهم باليأس من النصر إلا أنه جاء سفير تحت جنح الظلام أبلغ طارقاً أن ابني غيطشة وعمهما أوباس مستعدون لأن ينضموا إلى صفوفه على شرط أن يتركهم بعد انتصاره يحكون القوط كما كان يحكمهم أبوهما وجدهما وأن يكتفى بالجزية وجزء من أرض أسبانيا فقبل طارق ذلك، وفي الغد انضم إليه الاسقف (أوباس) وابنا أخيه والفرق التي كانت تحت امرتهم.

قال المؤرخ المذكور لو كانوا حددوا هذا الجزء لكان على حسب الظاهر البلاد المجاورة للمجاز (إقليم الاندلس).

(١) يقال إن الذي فتح استجة هو زيد بن قاصد - يقول بعض المؤرخين استجه بالشاء بعد السين وفي تاريخ ابن غدارى المراكشى (اسجة) بدون ثاء (الجزء الثاني صحيفة ١١).

ورأس هو الثالثة^(١) وتوجه بها إلى طُلَيْطُلَه من طريق جِيَّان - أما مغيث فقد فتح قرطبة بطريقة غريبة في بابها حديثها بطول^(٢) واسر علعجها اثناء فراره إلى طُلَيْطُلَه وابقى عليه ليقدم به على أمير المؤمنين حتى ينال بذلك الفخر العظيم وأما زيد فقد فتح مالقه MALAGA والبيرة ELBIRA بدون مقاومة ثم لحق بطارق.

واحتل طارق طُلَيْطُلَه TOLEDE عاصمة الملك بلا قتال وأصدر أوامر صريحة تمنع الجنود من النهب والاعتداء وتهديء روع الأهليين وتخول لهم الحرية في دينهم والتمتع بأموالهم والتقاضى عند قضائهم على شرط أن يدفعوا الجزية في كل سنة وكانت تختلف من خُمس الأموال المتحصلة إلى العُشر وكانت أقل مما كان يجبيه منهم القوط وكان يترك في كل مدينة مفتوحة حامية مختلطة من يهود البلاد والمسلمين^(٣).

بعد أن وطّد طارق دعائم السلام في طُلَيْطُلَه اتجه نحو الشمال مقتفياً أثر الفارين فوصل إلى وادى الحجارة GUADILHIDGIARA وعبره يريد جبال وادى

(١) يقال إن فرقة طارق كانت الرابعة وأن الثالثة هي التي ذهبت إلى مدينة البيرة (غرناطة) والذي يظهر أن زيدا قسم فرقته إلى قسمين قسم ذهب إلى مالقة والآخر إلى غرناطة ثم اجتمع القسمان ولحقا طارقاً.

(٢) انظر نفع الطيب.

(٣) قال رومي المؤرخ ص ٣ ما ترجمته (كانت شروط العرب إذا فتحوا مدينة أن يضربوا على أهلها خراجاً سنوياً إما خمس الأموال المتحصلة من الأرض والمعار وإما العشر، وأن يأخذوا رهائن وأن ينزعوا السلاح من الأهليين، وأن يستأثروا بالخيل ودواب النقل، وأن يستولوا على أموال النازحين عن الوطن وكانوا يتركون للسكان أملاكهم من أى نوع كانت ويمنحونهم الحرية الدينية لكن يشترطون عليهم أن تكون عبادتهم في الكنائس خاصة وأن لا يمنعوا من يرغب في الإسلام عن الدخول فيه).

وقال أيضا ص ٥٣ ج ٣ «دخل طارق وحرسه قصر الملك المبني فوق ربوة مشرفة على نهر الناجة LE TAGE فجمع منه أموالاً طائلة وامتنعة نفيسة.

يقول بعض المؤرخين: إنه وجد في حجرة من القصر خمسة وعشرين تاجاً من الذهب مزينة بالسوسن والحجارة القيمة النادرة الوجود وكان عدد التيجان عدد ملوك القوط الذين حكموا اسبانيا إلى رذريق وكان عادة القوط إذا مات الملك أن ينزعوا تاجه ويكتبوا عليه اسمه وسنه وعدد السنين التي حكمها».

رامه GUADORAMAS فاخترقها من واد سمى فج طارق BUITROGO واستولى على مدن خلفها منها مدينة سالم MEDINA CELI وهى التى أحرز منها على ما يروى المائدة الشهيرة المنسوبة إلى سليمان وعاد إلى طليطله مثقلا بالغنائم.

جاء فى نفح الطيب نقلا عن الرازى «أن ملاقة جيش طارق ورذريق كان يوم الأحد لليلتين من شهر رمضان فاتصلت الحرب بينهما إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده تمة ثمانية أيام ثم هزم الله المشركين فقتل منهم خلق عظيم وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجمل قدره فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم الذهب فى أصابعهم ومن دونهم بخواتم الفضة وعبيدهم بخواتم النحاس فجمع طارق الفئ وخمسه ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد والاتباع... ثم أقبل حتى نزل بأهل مدينة سدونه فامتنعوا عليه فشدد الحصار عليهم حتى نهكهم وأضرهم فتهاى له فتحتها عنوة فحاز منهم غنائم ثم مضى منها إلى مدور ثم عطف على قرمونه ثم مال على اشيليه فصالحه أهلها على الجزية ثم نازل أهل استجة وهم فى قوة ومعهم كل عسكر رذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم إن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها وفتحت المدينة وضرب على أهلها الجزية... قال يوليان لطارق قد فضضت جيوش القوم ورعبوا فاعمد إلى بيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابى مهرة ففرق جيوشك معهم فى جهات البلاد واعمد أنت إلى طليطله حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر فى أمرهم والاجتماع إلى أولى رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجبه فبعث مغيثا الرومى مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم فى سبعمائة فارس لأن المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وبعث جيشا آخر إلى مالقه وآخر إلى غرناطة مدينة البيرة وسار هو فى معظم الناس إلى كورة جيان يريد طليطله.

أما مغيث فقد فتح قرطبة ثم جمع يهودها وضمهم إلى مدينتها استنامة إليهم دون النصراني واختار القصر لنفسه والمدينة لأصحابه وأما من وجهوا إلى ماله ففتحوها ثم لحقوا بالجيش المتوجه إلى البيرة فحاصروا مدينتها غرناطة ثم افتتحوها عنوة وضموا اليهود إلى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده إلى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها^(١) (ومضى الجيش إلى تدمير وتدمير اسم العليج صاحبها سميت به واسم قصبتها اريوله فصالحوه بعد قتال شديد وسملت كورة تدمير من معرفة المسلمين) ومضى معظمهم إلى أميرهم طارق لفتح طليطلة فالفأها خالية قد فر عنها أهلها ولجأوا إلى مدينة خلف الجبل فمضى خلفهم فسلك وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمى به بعد فبلغ مدينة المائدة المنسوبة إلى سليمان بن داود وهي خضراء من زبرجد حافاتها منها ودخلها وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلا فأحرزها عنده ثم مضى إلى المدينة التي تحصنوا بها فأصاب حليبا ومالا ورجع إلى طليطلة سنة ٩٣.

تدمير موسى فتح اسبانيا

أعدّ موسى لغزو الأندلس بنفسه عشرة آلاف فارس وثمانية آلاف راجل وبعد أن أقام مقامه في القيروان ابنه عبد الله عبر بهم من أفريقيا إلى الأندلس في رجب سنة ٩٣ (إبريل سنة ٧١٢)^(٢) فأخذ أولا مدينة شذونة ثم أخذ قرمونة بحيلة وهي أن أصحاب يوليان دخلوها كأنهم فلاّ وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا له الباب وأوقعوا بالاحراس وملكوا المدينة ثم مضى موسى إلى اشبيلية SEVILE جارتها

(١) قوله ومضى الجيش إلى قوله من معرفة المسلمين لا يلتئم مع ما هو مذكور في التواريخ الأفرنجية من أن الذي قاتل تدمير هو عبد العزيز بن موسى.

(٢) في تاريخ دوزي صحيفة ٣٧ من الجزء الثاني أن دخول موسى الأندلس كان في يونية سنة ٧١٢ فحقق.

فحاصرها وهى أعظم مدائن الاندلس شأنا وأعجبها بنيانا وأكثرها آثارا وكانت دار الملك قبل القوط فلما غلبوا على ملك الاندلس حولوا السلطان إلى طَلَيْطْلَه وبقى رؤساء الدين فيها ففتحها بعد حصار شهر ثم فتح مدنا أخرى بين النهر الكبير ونهر يانه^(١) وما توقف إلا أمام مدينة ماردة فإنها كانت حصنا منيعا وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر وقد قاومته حتى أضاع فى حصارها كثيرا من رجاله وما دخلها إلا أول شوال سنة ٩٣ (١١ يوليو سنة ٧١٢) حين جاءته النجدة من أفريقية تحت قيادة ابنه عبد العزيز.

قال بعض مؤرخى الافرنج: «إن موسى شدد على المارديين شروط الصلح فإنه مع فرض الجزية السنوية وأخذ أموال القتلى وأموال النازحين عن المدينة طلب أن تسلم إليه أموال الكنائس وحليها وأن يحول نصفها إلى مساجد وأن يأخذ رهائن من أشراف القوط الذين فروا من واقعة سريش وكان من بينهم ملكة القوط أرملة رذريق المسماة اچلونه EGILONE أو اچيلا EGILA ومؤرخو العرب يسمونها ايله AYLA».

انتقض أهل اشبيلية على المسلمين فقتلوا ٨٠ رجلا من حاميتها وأتى فلهم إلى موسى وهو بماردة فوجه ابنه عبد العزيز إلى اشبيلية ليقصص من الثائرين فجاءها فيهم فتكا ذريعا حتى استقامت الأمور.

من ماردة سار موسى إلى طَلَيْطْلَه وكان قد بارحها طارق ليغزو قسطنطية القديمة LA VIEILLE CASTILLE وكان موسى يفتح ما مر عليه من البلاد وفرسانه يعلنون الأهلين: «إن العرب ما دخلت جزيرة الاندلس لظلم أهلها أو سلب أموالها أو تخريب مساكنها أو احراق زرعها بل لهدايتهم إلى معرفة الله وأنهم لا يحاربون إلا العصاة المعارضين بدون جدوى».

عاد طارق إلى طليطله قبل وصول موسى فبادر إلى مقابله فاجتمعوا في طلييره

(١) يقال أيضا الوادى الكبير ووادى يانه.

TALAVERA OU TALBERA ثم عادا إلى عاصمة الملك فطالب موسى طارقًا باداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك فقدمها إليه وبينها المائدة الزمرد ناقصة رجلا ثم جمع موسى رؤساء الجيشين ليحاكم طارقا فسأله أمامهم عن مخالفة أمره فاعتذر طارق بأن الحالة قضت عليه بذلك وأن رؤساء جيشه أجمعوا رأيهم على متابعة السير (ولولا ذلك ما كان فتح العاصمة وأمهات المدن فى زمن قريب) ما أقنع موسى هذا الاعتذار بل عزل طارقا من قيادة جيشه وحجسه وعهد بالقيادة إلى مغيث الرومى ولكن هذا الشهم أبت نفسه الكريمة أن يخلف قائده ودافع عنه بجرأة أمام الوالى ولما أصر موسى على ما حكم به بلغ مغيث المشكلة إلى الخليفة ليفصل فيها فورد منه الامر باعادة طارق إلى قيادة جيشه.

فى هذه الاثناء كان عبد العزيز يفتح الجنوب الشرقى من الاندلس فاستولى على لورقه LORCA وصالح تدمير الذى كان التجأ إلى اريوله ORIHUE LA على أن يدفع الجزية ويكون أمير سبع مدن وكتبا عهداً بذلك وعند رجوعه استولى على بياسه BAEZA وجيان JAEN وانتقيرة ANTEQUERA بدون مقاومة.

بعد أن صالح موسى طارقا اتجه طارق الشرق صاعدا إلى منابع نهر التاجه حتى نزل السهول التى يرويهها نهر ابره - واتجه موسى نحو الشمال الغربى فخضعت به بلاد بدون مقاومة منها سلمنقه SALAMANQUE ثم عاد إلى الشرق سائراً مع مجرى نهر دويرو DUERO حتى نزل وادى نهر ابره وقابل طارقاً محاصراً مدينة سرقسطة SARAGOSSE وكان هذا قد فتح المدن التى حولها ولكن المدينة استعصت عليه ففتحها بعد حصار شهر ثم احتلا وشقه HUESCA وقلهره CALAHORRA وطركونه TARRGONE ولاردة LERIDA ثم اقتسم القائدان الجيش فمشى موسى على شاطئ البحر المتوسط متجها نحو الشمال ففتح برشلونه BARCELONE وجيرونه GERONE ورأساس ROSAS وامبوريه AMPU-

RIA وسار طارق متجها إلى الجنوب ففتح طرطوشه TARTOSE ومربيطره
 MURVIEDRO وبلنسية وشاطبة ودانية واستمر إلى حدود أمانة تدمير.
 والبلاد التي كان يفتحها طارق كان أهلها آمنين على أرواحهم وأموالهم عائنين
 بسلام فى كنف المسلمين وما كان هؤلاء يأخذون إلا أموال من هجروا الأوطان.
 عاد موسى إلى الوسط ومنه إلى الشمال الغربى ذاهبا إلى لوغو LUGO فى
 جبال غليسية GALICE.

يذكر بعض المؤرخين فرقا بين سلوك القائدين فى فتوح الاندلس فيقول: إن
 موسى ما كان يفتكر إلا فى جمع الأموال والاستئثار بها وطارقا كان يقتسم الغنائم
 هو وجنوده بالعدل بعد أن يفصل منها الخمس كاملا للخليفة، قال بعضهم: إنه
 كان يكاتب الخليفة فى أعماله مباشرة معرضا عن جانب موسى وهذا كان يشكو
 إلى أمير المؤمنين عصيان طارق وتبذيره ومخالفته لاصول الحرب فمن أجل ذلك
 دعا الخليفة الوليد بن عبد الملك القائدين إليه فأرسل إليهما مغيثا الرومى الذى
 كان جاء إلى دمشق لتبليغ الخليفة تفصيل نصرات طارق الأولى فى الاندلس.
 أما طارق فقد أجاب دعوة أمير المؤمنين بدون توقف وأما موسى فتلكأ وأخذ
 يستعد لغزو القوط الملتجئين إلى جبال غليسية واستوريا فجاءه رسول آخر وهو أبو
 نصر بين جيشه فى لوغو وأخذ بعنان فرسه وذكره بطاعة أمر الخليفة فلم يسعه إلا
 الانقياد.

ويروى أنه كان فى نية موسى أن يفتح أوروبا بتمامها ويصل إلى الشام من
 شواطئ البحر الأسود فأخذ يستعد لهذا المشروع العظيم ولكن حال دون ذلك أن
 دعاه الخليفة إليه فى يوليو سنة ٧١٣م فأجاب الدعوة ومعه طارق وأقام ابنه عبد
 العزيز بن موسى حاكما على اسبانيا وجعل دار حكمه مدينة اشبيلية.

جمع موسى غنائمه الواسعة وعبر المجاز إلى المغرب فى ذى الحجة سنة ٩٥
 للهجرة ومعه ثلاثون ألف نسمة من السبى من بينهم أربعمئة فتى من أسر القوط

الملوكية وقفل إلى المشرق بعد أن استخلف على إقليم طنجة ابنه عبد الملك وعلى أفريقية أكبر أولاده عبد الله.

سأل موسى مغيثاً أن يسلم إليه عليج قرطبة الذي كان في إساره فامتنع فانتزع منه قسراً ثم خطر له أن يضرب عنقه مخافة أن يدعيه مغيث لدى الخليفة.

تألب طارق ومغيث على موسى وسبقا إلى دمشق وشكوا إلى سليمان بن عبد الملك منه ورمياه بالخيانة وأخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعليج - قبل وصول موسى إلى دمشق بأيام طراً على الوليد مرض ثقيل وكان ولي عهد أخوه سليمان بن عبد الملك فأراد هذا أن يؤجل الاحتفال بدخول فاتح اسبانيا إلى أول خلافته فكتب إليه أن يقف حيث يجيئه كتابه وأن يؤخر وصوله إلى دمشق أياماً فجاءه الكتاب في طبرية فلسطين فلم يعمل بما فيه أمّا صداقة للوليد وإمّا ظنا منه أنه لا يموت قريباً فكان هذا سبب حقد سليمان على موسى.

حضور موسى وطارق مجلس سليمان:

مات الوليد وخلفه سليمان ويروي أن القائدين حضرا مجلسه فأخذ موسى يغالى في قيمة مائدة الزمرد التي مر ذكرها فقال طارق: «يا أمير المؤمنين أنا الذي أحرزتها وأعطيتها إياها في طليطله» فرد موسى وقال: «إنها من غنائمي» قال طارق إنها تنقص رجلا فأين هذه الرُّجُل - أجاب موسى بأنه وجدها هكنا - قال طارق متهكما: «من هذه يحكم بصدق موسى» وأظهر الرُّجُل الناقصة التي كان نزعها من المائدة وحافظ عليها - فبهت عند ذلك والى أفريقية وعاقبه سليمان بالوقوف في الشمس المحرقة يوما كاملا.

موسى وإن كان أساء معاملة طارق إلا أنه كان شهماً شجاعاً ذكى القريبة فهو الذي فتح اقاليم المغرب واسبانيا وكان يجب على الخليفة الاموى أن يشكر له من أجل اعماله الجليلة ويتغاضى عن حبه الاستئثار بالفخر في فتوح الاندلس.

قال ابن خلدون: «نهض موسى من القيروان سنة ٩٣ للهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الاندلس وتلقاه طارق وتمم موسى الفتح وتوغل في البلاد إلى برشلونة في جهة الشرق واربونه^(١) في الجوف وصنم قادس في المغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها واجمع^(٢) أن يأتي المشرق على القسطنطينية ويخوض بلاد الاعاجم مجاهداً في أمم النصرانية مستلحماً لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة ونمى الخبر إلى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى أن ما هم به موسى غرر^(٣) بالمسلمين فبعث إليه بالتوبيخ والانصراف وأسر إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع هو وكتب له بذلك عهده ففقت ذلك في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية بثغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها وأنزله بقرطبة^(٤) فاتخذها دار إمارة واحتل موسى بالقيروان سنة ٩٥ وارتحل إلى المشرق سنة ٩٦ بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر وولى على أفريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان فسخطه ونكبه».

عبد العزيز:

استخلفه أبوه موسى على اسبانيا كما ذكرنا عند قفوله إلى المشرق سنة ٩٥ للهجرة (٧١٣ للميلاد) وجعل مقره اشبيلية فساس البلاد أحسن سياسة: ولّى عمّالاً على أقاليمها يديرون شئون المدينة وكانوا يسمون بالقواد وكانوا حكامها العظام.

وأقام حسّابين كانوا يسمونهم بالمحتسبين يجبون الخراج من البلاد بطرق

(١) فيه نظر.

(٢) اجمعت المسير وعليه عزمت عليه.

(٣) الفرر الخطر.

(٤) في غيره اشبيلية وهو الصحيح.

نظامية وكان مقداره خمس الأموال المتحصلة وأحياناً كان يخفض إلى العشر في بعض الجهات.

ورفع عن الأسبانيين اصر الاستعباد القوطى الرومانى فكانوا فى عهده آمنين على أنفسهم وأموالهم ودينهم وحرثهم وعاداتهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم فيفصل بينهم فى المنازعات قضاة منهم وفى أحوالهم الشخصية قسوسهم لا تكلفهم حكومة الفاتحين إلا دفع الخراج فلهذا ألفوا حكم العرب.

لما ولى عبد العزيز جزيرة الاندلس تزوج أيلة (اجلا EGILA) أرملة الملك رذريق وهى إحدى الرهائن التى انتقاها موسى من اشراف ماردة وبقيت على دينها وسماها زوجها أم العصم أى القلائد^(١) ويقول بعض المؤرخين: إن هذا الزواج أثر فى أخلاق الوالى فعامل نصارى اسبانيا بالحسنى وأن أيلة قبل الزواج كان لها رأى فى عقد الصلح بين عبد العزيز وتدمير، وإن أعداء عبد العزيز من العرب نقموا عليه المغالاة فى استرضاء النصارى المغلوبين وعدوا سكوته عن اخضاع الملتجئين منهم إلى استوريا نحو الشمال تشيعا إليهم فإنه بعد أن فتح لوزيتانيا LU-SITANIE (المعروفة الآن بالبرتغال) لم يتجاوز نهر دويرة بل رجع إلى اشبيلية وأقام فيها بدير دولاب الحكومة وما زال عماله يفتحون الشمال الشرقى حتى استولوا على مدينة بنبلونه PAMPELUNE وممار جبال البشكنس وبالغوا فى التنديد به حتى رموه بالتنصر وهو براء مما يفترون إذ لم يقم على دعواهم دليل.

بَلَّغُوا مَثَالِبَ افْتَرَوْهَا عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَدَفَعَهُ سَخِطُهُ عَلَى مُوسَى أَنْ اتَّخَذَ رِسَالَتَهُمْ حُجَّةً لِلْأَمْرِ بِقَتْلِ ابْنِهِ وَالِىِ الْإِنْدَلُسِ، جَاءَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى خَمْسَةِ مِنْ رُؤَسَاءِ الْجَيْشِ الْمُحْتَهِلِ اسْبَانِيَا فَضْرَبُوا عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً وَهُوَ يَصَلِّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَقَطَعُوا رَأْسَهُ

(١) كعنب جمع عصمة وهى القلادة كذا يقول بعض المؤرخين وفيه مناسبة ظاهرة وفى نفع الطيب أنه سماها أم عاصم وغير ظاهر لهذه التسمية مناسبة وقيل: إنه سماها أيضا زهرة بنت عيسى يريد أنها وردة المسيحيين.

ووضعوه في علبة ملئت عنبرا وارسلوه إلى الخليفة ودفنوا جثته في داره سنة ٩٧ للهجرة (٧١٥ للميلاد) وكانت مدة حكمه نحو ثمانية عشر شهرا.

عرض سليمان الرأس على موسى فتجلد للمصيبة وساءت أيامه الأخيرة حتى مات في وادي القرى حزنا على ابنه سنة ٩٧ للهجرة (٧١٦ للميلاد). تجاوز سليمان حدود الإنسانية والدين واتبع هواه في الانتقام من موسى وفي قتل ابنه عبد العزيز وهي إحدى زلاته.

طارق ويوليان وأيلة أيامهم الأخيرة مجهولة لم يذكر المؤرخون عنها شيئا. جاء في نفح الطيب أن أولاد غيطشه سألوا طارقا بعد الفتح: أنت أمير نفسك أم فوقك أمير؟ فقال: بل على رأسي أمير وفوق ذلك الأمير أمير عظيم فاستأذنوه في اللحاق بموسى بن نصير بأفريقية فأذن وعرفه بشأنهم وما أعطاهم من عهده وهذا أنقذهم إلى أمير المؤمنين الوليد بدمشق وكتب إليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم فلما وصلوا إلى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا فقدموا الاندلس وحازوا الضياع أجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم (ألمند) ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلها اشبيلية وصار لأرطباش ألف ضيعة في الوسط فسكن من أجلها قرطبة وصار لرملة ألف ضيعة في شرق الاندلس وجهة الثغر فسكن من أجلها طليطله فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية إلى أن هلك ألمند وخلف ابنته ساره وابنين فبسط يده (أرطباش) على ضياعهم فسارت ساره إلى الخليفة هشام بدمشق فشكت ظلامتها من عمها فكتب إلى حنظلة بن صفوان عامله بأفريقية بإنصافها من عمها وإمضائها وأخويها على سنة الميراث فيما كان في يد والدهم. اهـ. من حديث طويل صحيفة ١٢٦.

مات سليمان في ٢١ صفر سنة ٩٩ - ٣ أكتوبر سنة ٧١٧ بعد أن حكم ستين وثمانية أشهر وفي عهده غزا أخوه مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وحاصر القسطنطينية وفتح يزيد بن المهلب عامل خراسان جرجان وطبرستان.